مكانة الشعر فى صدر الإسلام

الشعر فن جميل يطلب فيه الرواء والإمتاع، ويستحسن فيه الحجة والإقناع، كما يستحسن فيه الاعتماد علي الدعوة الهادفة والكلمة الصادقة. وما أعتقد أن أمة علي الإطلاق قد اهتمت بالشعر اهتمام الأمة العربية به فلقد كان العرب يحتفون بالشعر والشعراء، وكانت الفرحة تغمرهم إذا ولد في القبيلة شاعر، وكانت مكانة الشاعر تسمو في بعض الأحيان علي منزلة كثير من أبناء قبيلته فكان يختار ضمن مجلس العشيرة .

لقد كان الشاعر هو الذي يسجل محامد القبيلة، ويذكر مآثرها ، ويدفع قومه إلي المكرمات وتحقيق الأمجاد، ويحثهم علي طلب الثأر ويهجو خصومه ، ويرفع منزلة قبيلته ويمدحها ، ولربما كان بيت واحد من الشعر يرفع أقواما ويضع آخرين . " وكان العرب يرون أن الشعر خير كلامهم وأفضل فخارهم ؛ لأنه ديوانهم الذي يسجلون فيه حروبهم "[1] وأمجادهم وتاريخهم ، وهو مجال فصاحتهم الذي يتبارون فيه ، ويتسابقون إليه . ولقد جاء القرآن متحديا هاتيك البلاغة وتلك الفصاحة فما استطاع القوم – رغم أنهم أساطين البلاغة وأرباب الفصاحة – أن يأتوا بآية من مثله[2] فلقد بهروا أمامه وبهتوا واعترفوا بعلو القرآن وسمو نظمه . لقد كانت مكانة الشعر في العصر الجاهلي سامية سامقة ، وحينما جاء الإسلام كان له موقفه الواضح الجلي من الشعر والشعراء فهو يرفض من الشعر ما يتنافي وتعاليم الدين ، ويرضي منه بكل ما يتساوق وقيمه الجلية . ولكن البعض حاول أن يشوه تلك الصورة فادعي أن الشعر قد ضعف وقلَّ واضمحل في ظل الإسلام ، وذهب إلي أن الإسلام قد حمل علي الشعر وشن حربا شعواء علي الشعر والشعراء .

---

(١) الشعر الإسلامي في صدر الإسلام، د. عبد الله الحامد، ص٢٢، ط١، مطابع الإشعاع التجارية بالرياض سنة ١٩٨٠ .

(٢) قال تعالي:" وإن كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنا فأتوا بسورة من مثله، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين " – البقرة ٢٣ ، ٢٤ .

ولكن ! هل حقا قل الشعر واضمحل في ظل الإسلام ولم تكن له تلك المكانة السامية التي احتلها في العصر السابق ، نقصد العصر الجاهلي .

وللرد علي ذلك يمكن أن نتوقف عند عدة نقاط نستدل بها علي أن الشعر لم يقل ولم يضمحل ونرد بها علي هؤلاء ونبرهن علي أن مكانته لم تهتز في ظل الإسلام بل عدَّل الإسلام مساره وهذب أشجاره وأينع ثماره.

١- ينبغي أن نعلم أن القرآن الكريم حينما نفي صفة الشاعرية عن الرسول ﷺ في قوله تعالي : وما علمناه الشعر وما ينبغي له [١] **إنما نفاها لأسباب أهمها.**

أ- أن النبي ﷺ وهو حامل لواء الدين ومرتل آى القرآن الكريم والمرسل نذيرا وبشيرا ما كان يمكن أن يقول كلاما من عنده ، وإنما هو يتلو كلاما منزلا من قبل الله عز وجل.

ب- أن نفي صفة الشاعرية عن الرسول ﷺ امتداد طبيعي لنفي صفة الشعر عن القرآن الكريم .

ج- ما كان للدعوة الإسلامية أن تقبل " لو كان الرسول ﷺ شاعرا فلقد عرف العرب أن الشاعر تابع الشيطان منه يقتبس وعنه يتلقي الإلهام ".

د- أن مهمة الرسول ﷺ لم تكن الامتاع الفني بل هي مهمة أسمي وهي الإقناع العقلي والتبشير بدين سماوي عظيم ينظم للناس حياتهم .

هـ - ما عرف عن الشعر من الميل إلي المبالغة والادعاء وما اشتهر به الشعراء من الجنوح إلي الخيال والتهويل والتهويم .

٢- أن الرسول ﷺ ما كان يقيم إنشاد الأبيات علي الإطلاق كما دلت علي ذلك الأخبار الصحيحة والأحاديث الصريحة الدلالة.

والبيت الذي صح وزنه وجري علي لسان رسول الله ﷺ وهو من الرجز، المنهوك والمشطور قوله .

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

---

(١) سورة يس- ٦٩. / ٢ - الشعر الإسلامي / عبدالله الحامد / صـ ٢٤

٣- كان الرسول ﷺ – وهو العربي الخالص – يتذوق فن الكلام ويعرف ما للشعر من قيمة وتأثير فهو أفصح العرب علي الإطلاق ، وعليه نزلت أفصح الكلمات .

٤- قول الرسول ﷺ عن امرئ القيس بأنه قائد لواء الشعراء إلي جهنم[١] يعود إلي ما في شعر امرئ القيس من تهتك وفجور وعهر ومجون وما فيه من مخالفة لدين الله ، فامرؤ القيس هو أول من فتح أمثال هذه الأبواب المجونية فنهج الشعراء الفاسدون نهجه وسلكوا سبيله واتخذوا طريقه ، ولعل الرسول بهذا الحديث يحذر الشعراء من السير علي طريقة امرئ القيس وكأنما يريد إن يقول لهم إن من سار علي نهج امرئ القيس فلسوف يلقي جزاءه في جهنم .

٥- لكي نرد علي المدعين الذين ذهبوا إلي أن الإسلام هاجم الشعراء في قوله تعالي " والشعراء يتبعهم الغاوون ....." لابد أن نشير إلي ضرورة إكمال الآيات التي وردت في سورة الشعراء ولا نصنع صنيع المتوقفين عند قوله تعالي : ولا تقربوا الصلاة ....." أو صنيع المغرضين الذين يزعمون أن الله توعد المصلين بالويل في قوله تعالي "ويل للمصلين ....."فلقد قال عز من قائل " : ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى [٢] " وقال ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهمون " [٣]

ولهذا يجب أن نكمل الآيات في سورة الشعراء " والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون " [٤] ففي نهاية الآيات

---

(١) ابن عساكر ، التاريخ الكبير،جـ ٣ صـ ١٠٥ ، وابن رشيق /العمده ، جـ ١ص٧٦ ، والعقد الفريد ، جـ٥ ، ص ٢٧٠ وقد قال عنه ﷺ ذلك رجل مذكور في الدنيا منسي في الآخرة شريف في الدنيا خامل في الآخرة ويجئ يوم القيامة في يده لواء الشعراء "

(٢) سورة النساء / ٤٣ .

(٣) سورة الماعون / ٤، ٥ .

(٤) سورة الشعراء / ٢٢٤- ٢٢٧.

استثناء يخرج الشعراء المؤمنين من دائرة الشعراء الغاوين الهائمين في كل واد. ولهذا يجب أن يلاحظ أن المقصود بالشعراء الغاوين هم المشركون الذين آذوا النبي بالهجاء وهذا ما فهمه ابن رشيق من الآية ، ومما يدلنا علي ذلك الفهم أنه لما نزلت هذه الآية جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك إلي رسول الله وهم يبكون فقالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء [1] فتلا النبي ﷺ"إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

٦- لكي نفهم قوله ﷺ " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا" يجب أن نعرف أولا أن الشاعر كالنحلة تأخذ من كل زهرة رشفة ومن كل بحر قطرة وأن أفكاره بعيدة عن الثبات والاستقرار وهو واسع الخيال فإنه يقول أحيانا ما لا يفعل فيفتخر ويدعي الغلبة وهو المغلوب ويزعم أنه انتصر وهو المهزوم المقهور .

ويجب أن نربط هذا الحديث بمناسبته فهي تلقي ضوءا من البيان عليه فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعُرج " واد بالحجاز " إذ عرض شاعر ينشد فقال الرسول ﷺ خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان ." لأن يمتلئ جوف رجل قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا [2] ومن سياق المناسبة يبدو أن الشاعر فاجأ القوم يتغني بما يكرهون وما كانوا يكرهون إلا حديثا يمت إلي صنم أو يتصل بوثن أو يهدم فضيلة أو يدعو إلي فساد[3] ورذيلة وهم في موقف ليسوا في حاجة فيه إلي الشعر فلقد كانوا مشغولين بما هو أهم ؛ ولذا فقد فسر الحديث بأن يمتلئ قلبه حتى يشغله عن القرآن وذكر الله ووضع في البخاري تحت باب " ما يكره أن يكون الغالب علي الإنسان الشعر حتى يصده عن الله

---

(١) انظر تفسير الطبري، ج ١٩، ص٧٩، وانظر الآدب في عهد النبوة والراشدين/ د صلاح الدين الهادي، ص٢١٦– ٢١٨/ ط الخانجي ١٩٨٧م، وانظر العصر الاسلامي/ د شوقي ضيف/ ص٤١ ، دار المعارف .

(٢) صحيح مسلم / جـ٤، ص ١٧٦٩ ، ط دار الحديث القاهرة ، سنة ١٩٩٠ م وقال بعضهم وفي روايات أخري في صحيح مسلم فيها. قول الرسول صلي الله عليه وسلم، لأن يمتلئ جوف الرجل قيحا يريه خير من أن يمتلئ شعرا وقوله صلي الله عليه وسلم"لأن يمتلئ جوف أحدكم قيمحا يريه خير من أن يمتلئ شعرا .

(٣) الشعر الإسلامي / د. عبداله الحامد / صـ ٢٩ – ٣٠ .

والعلم والقرآن. وفسر أيضا بأن المراد بالشعر شعر هجي به النبي ﷺ ويقصد بذلك الرجل الذي غلب الشعر على قلبه وملك عليه نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فرائض الله ، وأما ما يتخذ من الشعر أدبا وفكاهة طيبة وإقامة مروءة فلا جناح عليه .

هذا بالإضافة إلي أن الحديث يروي براوية أخري هي :.....خير له من أن يمتلئ شعرا هجيت به "

٧- ما جاء في القرآن الكريم من آيات أو ما جاء علي لسان الرسولﷺ من كلمات علي وزن شعري ليست من الشعر رغم أنها موزونة وذلك مثل قول الله عز وجل " إن بعض الظن إثم [١] فهو من مجزوء الرمل ولكنه ليس شعرا .

وكذلك ما جاء علي لسان الرسول ﷺ مثل قوله :" اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة " [٢] وقوله " أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب " فهي عبارات موزونه لكنها تفقد القافية الموحدة كما أنها لم تأت مقصودة لذاتها إنما جاءت هكذا عفوا بدون تعمد هذا من قبيل المنثور الذي يوافق المنظوم لأنه لا يراد به الشعر وإن كان موزونا.

٨- علينا أن نعلن أن مكانة الشعر لم تهتز في ظل الإسلام ولم تقل بل كان للشعر مكانة بارزة سامية سامقة ، وللدلالة على ذلك يمكن أن نسوق بعض مواقف النبي صلى الله عليه وسلم وبعض مواقف الصحابة من الشعر لنبرهن على صدق ما نذهب إليه .

أ- موقف النبي ﷺ من الشعر :

تدلنا الدلائل علي الرسول ﷺ كان يحب الشعر ويتذوقه وينقده ويستحسن بعضه ويستهجن بعضه ويتأثر به ويتمثل به في بعض المواقف ويرفع من مكانة الشعراء ويعلي من منزلتهم ويحبهم ويقربهم إليه ويدنيهم.

---

(١) سورة الحجرات / آية١٢

(٢) صحيح البخاري ، جـ ٤ ، ص ٤٢ .

ويمكن أن نسوق للدلالة علي ذلك ما يأتي :

١- قوله ﷺ :" إنما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح وقوله عليه السلام:" إن من البيان سحرا ، وإن من الشعر حكما " حينما أعجب بكلام عمرو بن الأهتم .

وقوله ﷺ : " إن من الشعر لحكمة "[١]

والحديث الأول قاله الرسول ﷺ تعليقا على أبيات العلاء ابن الحضرمي التي يقول فيها "

حي ذوى الأضغان تسب قلوبهم تحيتك القربى فقد ترقع النعلْ
فإن دحسوا بالكره فاعف تكرما وإن خنسوا عنك الحديث فلا تسل
فإن الذي يؤذيك منه استماعه وإن الذي قالوا وراءك لم يُقل

وروي الحديث بصورة أخري هي " إن من الشعر لحكمة فإذا ألبس عليكم شئ من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه عربي "انظر لسان العرب مادة شعر.

وللحديث الأخير مناسبة وهي أن أحد أصحاب رسول الله ﷺ كان قد خرج في إحدى الغزوات وكان الدم يسيل من جرحه بشكل متواصل ولم يجد فيه ضماد حتى جاء حسان فقال ائتوني بالكافور فوضع الكافور علي الجرح فجف الدم فسأل النبي حسانا من أين اقتبست هذا يا حسان فقال من قول الشاعر .

فكرت ليلة وصلها في هجرها فجرت مدامع مقلتي كالعندم
فطفت أمسح مقلتي بخدها إذ عادة الكافور إمساك الدم[٢]

فقال النبي ﷺ" إن من الشعر لحكمة" .

---

(١) صحيح مسلم / جـ٤،ص ١٩٣٢ ، وانظر العقد الفريد /جـ٦ ، صـ١٢٣ "
(٢) العمدة / ابن رشيق/ جـ ١، ص ١٤.

٢- كان ﷺ يضع لحسان بن ثابت رضي الله عنه منبرا في المسجد ينشد فيه الأشعار وينافح عن الدين العظيم كما يدافع عن النبى الكريم ﷺ [١]

٣- كان عليه السلام يدعو لحسان فيقول :" اللهم أيده بروح القدس " وكان يقول له :" اهجهم وروح القدس معك " وفي رواية " اهجهم وجبريل معك"[٢].

٤- جاء حسان يستأذن النبي ﷺ في هجاء المشركين فقال له وكيف بنسبي؟ فقال " والله لأسلنك كما تسل الشعرة من العجين"[٣].

٥- كان يقول عن شعر حسان " لهذا أشد عليهم من وقع النبل "[٤]

٦- قال ﷺ لكعب بن مالك:"ما نسي ربك شعرا قلته قال وما هو يا رسول الله؟ فقال أنشده يا أبا بكر فأنشده أبو بكر قوله :

زعت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب [٥]

٧- كان عليه السلام يجند الشعر علي المشركين ويدل علي ذلك قوله لحسان شن القطاريف علي بني عبد مناف ، والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام . [٦]

٨- كان عليه السلام يستنشد شعر أميه بن أبي الصلت " وأمية هذا شاعر آمن لسانه وكفر قلبه" والدليل علي ذلك ما روي من حديث أبي شيبة عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : " ردفت رسول الله ﷺ يوما فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شئ ؟ قلت : نعم فأنشدته بيتا ، فقال: هيه حتى أنشدته مائه قافية ، يقول بعد كل قافية : هيه"[٧].

---

(١) انظر كتاب " المساجد في الإسلام " إذ يقول مؤلفة طه الولي :" يحدثنا المؤرخون عن منبر آخر كان ينصب في المسجد النبوي الشريف بأمر النبي صلي الله عليه وسلم ليقف عليه شاعره حسان بن ثابت عند إنشاد قصائده في مدح النبي صلي الله عليه وسلم وهجاء كفار قريش علي أن هذا المنبر كان يوضع بصورة مؤقتة ثم يرفع بعد انتهاء حسان من إنشاد قصائده .....ولا يعلم هل له درجة أم كان عبارة عن منصة عادية " صـ ١٩٦ .

(٢) صحيح مسلم ، جـ ٤ ، صـ١٩٣٣، وكان يقول الشعراء المدينة " اهجوا بالشعر ،إن المؤمن يجاهد بنفسه وماله والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحونهم بالنبل " مسند الإمام أحمد / جـ ٣ ، صـ ٤٦٠ فيستجيب عبد الله بن رواحة فيعيرهم بالكفر ويهجوهم كعب فيذكر الحرب وأهوالها ثم ينبري حسان فيصيب منهم مقاتلهم ويخرس شعراءهم " ابن سلام / جـ ١ ، صـ ١٨٠

(٣) صحيح مسلم ،جـ٤، صـ١٩٣٤.

(٤) صحيح مسلم ،جـ٤، صـ١٩٣٥.

(٥) العقد الفريد ، جـ ٦ ، صـ ١٢٧ .

(٦) العقد الفريد ،جـ٦ ، ١٢٧ .

(٧) صحيح مسلم ، جـ ٤ ، صـ١٧٦٧.

٩- قال النبي ﷺ لعبد الله بن رواحة : أخبرني ما الشعر يا عبد الله ؟ قال : شئ يختلج في صدري فينطق به لساني ، قال : فأنشدني ، فأنشده شعره الذي يقول فيه :

فثبت الله ما آتاك من حسن قفوت عيسي بإذن الله والقدر

فقال النبي ﷺ: وإياك ثبت الله ، وإياك ثبت الله [١]

١٠- روي عن النبي ﷺ أنه طلب من عكرمة بن عباس أن ينشده شعرا لأمية بن أبي الصلت فأنشده قوله :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربي ومسانا
رب الحنيفة لم تنفد خزائنها مملوءة طبق الآفاق سلطانا
ألا نبي لنا منا فيخبرنا ما بعد غايتنا من رأس محيانا

وقد عبر الرسول ﷺ عن إعجابه بهذا الشعر بقوله : إن كاد أمية ليسلم" [٢]

١١- كان الرسول ﷺ يقبل على كل شعر يتضمن حكمة صادقة أو خلقا كريما أو رأيا صائبا في الحياة أو الناس " [٣]

والدليل علي ذلك ما روي عن أبي ليلى النابغة الجعدي من أنه قدم علي النبي ﷺ فأنشده شعره الذي يقول فيه:

بلغنا السماء مجدنا وثناؤنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي ﷺ : إلي أين يا أبا ليلي ؟ فقال : إلي الجنة بك يا رسول الله فقال النبي ﷺ: إلي الجنة إن شاء الله ، فلما انتهي النابغة إلي قوله :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له موارد تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له النبي ﷺ : أجدت ، لا يفضض الله فاك" فعاش النابغة مائة وثلاثين سنة لم تسقط له ثنية [٤]

---

(١) العقد الفريد ، جـ٦ ، صـ١٢٨.
(٢) الأغاني / جـ ٣ ، صـ١٨٣ .
(٣) الأدب في عصر النبوة الراشدين /د. صلاح الدين الهادي / صـ ٢٢١ .
(٤) العقد الفريد/ جـ٦، صـ١٢٦. وفي رواية: بلغنا السماء مجدنا وجدودنا، وانظر: جمهرة أشعار العرب/ أبو زيد القرشي/ صـ ٤٩ / ط١ – بيروت سنة ١٩٨٦

١٢- سمع النبي ﷺ السيدة عائشة تنشد شعر زهير بن جناب الذي يقول فيه :

ارفع ضعيفك لا يحلْ بك ضعفه يوما فتدركه عواقب ماجـــني
يجزيك أو يثني عليك فإن من أثني عليك بما فعلت كمن جزي

فقال ﷺ: صدق يا عائشة لا يشكر الله من لا يشكر الناس[١].

١٣- ذكر للنبي ﷺ قول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال هذا من كلام النبوة [٢].

١٤- روي يزيد بن عمرو الخزاعي عن أبيه عن جده قال : دخلت علي النبي ﷺ ومنشد ينشده قول سويد بن عامر المصطلقي :

لا تأمنن وإن أمسيت فـي حـرم إن المنايا بجنبي كـــل إنســان
فاسلك طريقك تمشي غير مختشع حتى تلاقي الذي مني لك المانسي

فقال ﷺ:" لو أدرك هذا الإسلام لأسلم [٣].

١٥- جاء ضرار بن الأزور إلي النبي ﷺ يقول : أأنشدك يا رسول الله، قال نعم فأنشده :

تركـت القيان وعـزف القيـان وأدمـنت تصليـة وابتـهالا
وكـر المشقـر فـي حومـة وشني علي المشـركيـن القتالا
فيـا ربـي لا أغبنـن صفقتـي فقد بعت مالـي وأهلي بـدالا

فقال النبي ﷺ: ربح البيع، ربح البيع [٤] وقيل" ما غبنت صفقتك يا ضرار ".

---

(١) العقد الفريد /جـ٦ ، صـ١٢٥.
(٢) العقد الفريد / جـ٦، صـ١٢٠ .
(٣) العقد الفريد / جـ٦ ، صـ١٢٥.
(٤) العقد الفريد/ جـ٦ ، صـ١٢٥ ، وانظر أسد الغابة ،ابن الأثير ، جـ٣ ، صـ٥٢ وفي رواية ابن الأثير.

خلعت القداح وعزف القيان والخمر أشربها والثمـــالا
وكرى المحبر فى غمـرة وجهدى على المسلمين القتالا
فيارب لا أغلبن صفقـتى فقد بعت أهلى ومالى بـــدالا

فقال النبي (ربح البيع، ما غبت صفقتك ياضرار) .

١٦- حدث زياد بن طارق الجشمي قال : حدثني أبو جرول الجشمي وكان رئيس قومه قال : أسرنا النبي ﷺ يوم حنين فبينما هو يميز الرجال من النساء إذ وثبت بين يديه وأنشدته .

امنــنْ علينا رسول الله في حرم فإنك المــرء نرجــوه وننتــظر
امنن علي نسوة قد كنت ترضعها يا أرجح الناس حلما حين يختبر
انــا لنشــكر للنعي إذا كفـــرت وعندنــا بعد هذا اليــوم مدخــر

فذكرته حين نشأ في هوازن وأرضعوه ؛ فقال ﷺ: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم ، فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله فردت الأنصار ما كان في أيديها من الذراري والأموال [١]

١٧- روي أن الشعراء كانوا ينشدون الشعر بين يديه ﷺ في كثير من اللحظات، ومن ذلك أنه حينما دخل عليه السلام مكة معتمرا عمرة القضاء في السنة السابعة للهجرة قدم عبد الله بن رواحة فأخذ بخطام ناقته مرتجزا بأبيات منها .

خــلوا بنــي الكفــار عـــن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
يـــا رب إنـــي مؤمـــن بقيــله أعرف حق الله في قبوله [٢]

١٨- يروي لنا التاريخ أن الذي هاج فتح مكة هو أن عمرو بن سالم الخزاعي خرج من مكة حتى قدم علي رسول الله ﷺ في المدينة، وكانت خزاعة في حلف النبي ﷺ .

وقد نقضت قريش العهد الذي بينها وبين الرسول ﷺ باعتدائها علي خزاعة وأصابت منهم مقتلا كثيرا فقال عمرو بن سالم يستصرخ الرسول ﷺ ويذكره بحلفه مع خزاعة :

---

(١) العقد الفريد / جـ٦ – صـ١٢٩ .

(٢) ديوان عبد الله بن رواحة/ تحقيق د. وليد قصاب/ صـ ١٤٤/ ط دار الضياء/ عمان/ ط ثانية سنة ١٩٨٨وانظر / سيرة ابن هشام / ق ٢ – جـ ٣ / صـ ٣٧١ – وقد قال سيدنا عمر : يا بن رواحة ، في حرم الله وبين يدي رسول الله صلي الله عليه وسلم تقول الشعر فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم "خل عنه يا عمر ، فلهو أسرع فيهم من نضح النبل " انظر :الترمذي باب الأدب " وانظر القرطبي جـ ١٣، صـ ١٥١.

يـــا رب إنـــي ناشـــد محمـــدا حـــلف أبينا وأبيه الأتـــلـــدا
إن قـــريشـــا أخلفوك الموعـــدا ونقضوا ميثاقك المـــؤكـــدا
فانصر هـــداك الله نصـــرا أعتـــدا وادع عباد الله يأتـــوا مـــددا
هـــم بيتـــونا بالوتيـــر هجـــدا وقتلـــونا ركعا وسجـــدا [1]

فلما سمع النبي ﷺ هذا الشعر دمعت عيناه وقال : نصرت يا عمرو .

١٩- قال ﷺ : إن أصدق بيت قالته العرب هو قول لبيد :

ألا كـــل شـــئ ماخلا الله باطـــل وكل نعيم لا محالة زائل[2]

٢٠- كان ﷺ يتدخل في تعديل بعض الكلمات في الشعر ليساير الشعر روح الإسلام ، ومن ذلك ما روي من أن كعب بن زهير حينما قال البيت المشهور .

إن الرســـول لنـــور يستضـــاء به مهند من سيوف الهند مسلول

قال له الرسول " من سيوف الله "فعدل كعب هذا البيت وقال :

---------- **مهند من سيوف الله مســـلول**[3]

٢١- روي عنه ﷺ أن اسيد بن أبي أناس جاءه يقول وأنت الفتي تهدي معدا لدينها.... فقال له النبي ﷺ : بل اللّه يهديها " فقال أسيد :

وأنـــت الفتي تهـــدي معدا لدينا بل الله يهديـــها وقـــال لك أرشد

٢٢- كان ﷺ يتأثر بالشعر أيما تأثر، والدليل علي ذلك أنه لما نزل الأثيل وهو موضع قرب المدينة أمر عليا فضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبرا ، فقالت له قتيلة بنت النضر ابن الحارث وهو يطوف بالكعبة .

يـــا راكبـــا إن الأثيـــل مظنـــة من صبح خامسة وأنت موفـــق
أبلـــغ بـــها ميتـــا بأن قصيـــدة ما إن تزال بها النجائب تخفـــق

---

(١) العقد الفريد / جـ ٦ ، صـ١٣٠ وانظر سيرة ابن هشام ، ق ٢ ، جـ ٣ ، صـ ٣٩٤ .
(٢) صحيح مسلم / جـ٤ ، صـ ١٧٦٨ (وفي رواية أشعر كلمة تكلمت بها العرب وفي رواية أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد" .
(٣) انظر شرح ديوان كعب بن زهير، ص٢٣، ط٣، دار الكتب المصرية٢٠٠٢، صنعة أبي سعيد السكر.

مني إليك وعبرة مسفوحة جادت لماتحها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ها أنت نجل نجيبة في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتي وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من قتلت قرابة وأحقهم إن كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحام هناك تمزق

فتأثر الرسول ﷺ بهذا الشعر أيما تأثر ، وقال لو بلغني هذا قبل قتله ما قتلته [1]

٢٣- ومما يدلنا علي تأثره بالشعر واهتزازه له ، وانفعاله به ما روي من أنه كان قد أهدر دم كعب بن زهير ، فلما جاء كعب تائبا نادما منشدا قصيدته المشهورة "بانت سعاد " والتي مدح فيها النبي ﷺ، عفا عنه النبي وألقي عليه بردته الشريفة ثوابا له .

٢٤- روي عن الرسول ﷺ أنه جلس في مجلس ليس فيه إلا خزرجي فاستنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم (وهو شاعر من الأوس) يعني القصيدة التي مطلعها :

أتعرف رسما كاطراد المذاهب لعمرة وحشا غير موقف راكب

فأنشده بعضهم إياها حتى بلغ إلي قوله :

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فالتفت إليهم رسول الله ﷺ فقال : هل كان كما ذكر ؟ فشهد له ثابت بن قيس بن شماس وقال له : والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه فجالدنا كما ذكر.

فهذا مجلس أدبي شارك فيه الرسول ﷺ بالسماع والتذوق ، فلو كانت مكانة الشعر قد قلت ما وجدت أمثال تلك المجالس التي كان الرسول عليه السلام يشارك فيها .

---

(١) العقد الفريد، ج٦، ص١٢٩،١٣٨. والبيان والتبين ج٤، ص٤٤، تحقيق عبد السلام هارون، الذخائر٢٠٠٣

٢٥- لا أدل علي علو مكانة الشعر من احتفاء الرسول بالشعراء وحبه إياهم فلقد روي أن المقوقس قد أهدي للرسول ﷺ بعض الهدايا منها: مارية القبطية وجارية أخري هي أخت مارية "سيرين" فتزوج الرسول ﷺ مارية وأهدي الجارية الثانية لشاعره المشهور حسان بن ثابت دلالة علي اعتزازه بالشعر واحتفائه بالشعراء وحبه لهم ودلالة علي ارتفاع مكانة الشعراء في عهده .

٢٦- كان الرسول ﷺ يستمع إلي الخنساء ويسألها أن تزيده من شعرها، ويقول لها : إيه يا خناس .[١]

٢٧- كانت القبائل تفد عليه ﷺ لتعلن إسلامها وفي هذه الوفود شعراء يتحدثون باسم قبائلهم وكان الرسول يستمع إليهم وذلك مثلما حدث مع وفد تميم الذي جاء ومعه شاعرهم الزبرقان بن بدر الذي وقف يقول :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا منا الملوك وفينا تقسم الربع
إن أبينا ولم يأب لنا أحد وإنا كذلك عند الفخر نرتفع

فبعث رسول اللّه ﷺ إلي حسان ولم يكن بالمجلس، فلما سمع قول هذا الشاعر قال له النبي عليه السلام قم يا حسان فأجب الرجل فقال مرتجلا قصيدته التي منها هذه الأبيات :

إن الذوائب من فهر وإخواتهم قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضي بها كل من كانت سريرته تقوي الإله وبالأمر الذي شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
إن كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدني سبقهم تبع

ولما انتهي من القصيدة قال الأقرع بن حابس رئيس الوفد " لشاعره - يعني حسان شاعر الرسول – أشعر من شاعرنا .

٢٨- قول النبي ﷺ لكعب بن مالك " إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسى بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل "

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ،جـ١ صـ ٢٢٨.

٢٩- عندما أنشد سيدنا حسان قصيدته التي رد بها علي أبي سفيان بن الحارث والتي مطلعها :

عفت ذات الأصابع فالجواء إلي عذراء منزلها خلاء[١]

دعا له الرسول ﷺ بالجنة مرتين، وعندما وصل حسان إلي قوله :

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

قال ﷺ " جزاؤك عند اللّه الجنة يا حسان " ولما وصل حسان إلي قوله .

فإن أبي ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء

قال ﷺ " وقاك اللّه حر النار "[٢]

٣٠- كان ﷺ يعجب بقول عنترة :

ولقد أبيت علي الطوي وأظله حتى أنال به كريم المأكل

وقد جسد ﷺ إعجابه بعنترة فقال " ماوصف لي أعرابي قط فأجببت أن أراه إلا عنتره [٣]

٣١- قوله ﷺ " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين[٤]

٣٢- استماع الرسول ﷺ إلى كعب بن زهير وهو ينشد قصيدته "بانت سعاد"

٣٣- جاء رجل إلى الرسول ﷺ ينشده قول سحيم عبد بني الحسحاس :

الحمد لله حمدا لا انقطاع له فليس إحسانه عنا بمقطوع

فقال عليه السلام :" أحسن وصدق وإن اللّه ليشكر مثل هذا "[٥]

٣٤ - التفت مرة ﷺ إلى حسان قائلا هات ما قلت في وفي أبي بكر فقال حسان :

إذ تذكرت شجوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبابكر بما فعلا

---

(١) ديوان حسان ، صـ ٧١ .
(٢) العمدة ، جـ١ ، صـ ٣٩ .
(٣) الأغاني ، جـ ٧ ، صـ ١٤٤، .
(٤) العمدة /جـ١ ، صـ ٣٠ .
(٥) الإصابة ، جـ ٢ ، صـ ١٠٩.

فقال ﷺ : صدقت يا حسان . دعوا لي صاحبي[1] وفي رواية : صدقت يا حسان هو كما قلت .

٣٥ - عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يخصف نعله وكنت أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فنظر إلي فقال : مالك بهت ؟ فقلت يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي فقالت يقول:

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

قالت فوضع رسول الله ﷺ ما كان في يده وقام إلي فقبل ما بين عيني وقال : جزاك الله يا عائشة خيرا ما سررت مني كسروري منك.[2]

٣٦- قال رسول الله ﷺ : أمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى .

٣٧- كان يرتجز بأبيات عامر بن الأكوع أثناء خروجه إلى خيبر في السنة السابعة للهجرة وهي الأبيات التي يقول فيها :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا[3]

٣٨- كان كثيرا ما يطلب ﷺ سماع الشعر أثناء رحلاته ليهون به السفر ومن ذلك أنه سأل عن حسان في إحدى ليالي سفره فقال حسان لبيك يا رسول الله وسعديك فقال له النبي " احدُ" فجعل ينشد والنبي يصغي إليه فمازال يستمع إليه وهو سائق راحلته حتى فرغ من نشيده[4] .

٣٩- يجب ألا ننسى أن النبي ﷺ قد استقبله بنو النجار يوم وصل المدينة مهاجرا إليها بقولهم.

---

(١) ديوان حسان ، صـ٢١١، صـ٣٩٥ ، وانظر مجمع الزوائد / كتاب الثاقب جـ ٩ ، صـ٤٣.

(٢) تهذيب حلية الأولياء/ أبو نعيم الأصفهاني تهذيب د. أحمد طه وهبه دار الأندلس الجديدة/ مصر/ ط١ سنة ٢٠٠٤.

(٣) سيرة ابن هشام ، جـ ٢، صـ ٣٢٨.

(٤) الأغاني ، جـ٤،صـ١٤٣.

طلــع البـــدر علينـــا من ثنيــات الــوداع
وجــب الشكــر علينـــا مــا دعـــا لله داع

٤٠- حينما جاءه ابن حبيب ينشده قول سحيم عبد بني الحسحاس :

الحمد لله حمدا لا انقطاع له فليس إحسانه عنا بمقطوع

قال ﷺ: " أحسن وصدق وإن اللّه ليشكر مثل هذا ، وإن سدد وقارب إنه لمن أهل الجنة " [١] .

٤١ – سمع النبي ﷺ كعب بن مالك يقول :

ألا هل أتي غسان عنا ودونهم من الأرض خرق غوله متنعنع
مجــالدنا عن جذمنا كل فخمة مذربــة فيها القوانــس تلمــع

فقال لا تقل: عن جذمنا وقل عن ديننا ، فسر كعب وعدل البيت وافتخر بذلك قائلا :ما أعان رسول اللّه ﷺ أحدا في شعره غيري [٢] ويلاحظ أنه ﷺ قد أعان كعب بن زهير أيضا في قصيدته " باتت سعاد ".

٤٢- امتدح الرسول ﷺ ابن رواحة لعفة لسانه فقال " إن أخاكم لا يقول الرفث "

٤٣- روى حريم بن أوس الطائي قال : قدمت علي رسول اللّه منصرفا من تبوك فسمعت العباس عمه يقول : يا رسول اللّه إني أريد أن امتدحك فقالﷺ قل : لا يفضفض اللّه فاك فأنشأ يقول .

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يحصف الورق[٣]
الورق[٣]

وبعــد: فلقد كان الرسول ﷺ يتذوق الكلمة ويعرف للشعر قيمته وتأثيره وكثيرا ما كان يستنشد الرواة الشعر ويستمع إلي ما يروون ويسهم في نقد بعض معانيه ويقيم ما يشبه المجالس الأدبية التي يشارك فيها ويقبل علي الشعر راغبا في سماعه، ويسأل أصحابه عنه، ويدعو لشعرائه بالتوفيق ويبدي إعجابه ويرشد إلي مواطن الخير فيه، ويرشد إلي مواطن الخلل فيه فيقومه .

---

(١) انظر الإصابة / ابن حجر / جـ ٢ ، صـ ١٠٩ .
(٢) ابن هشام / جـ ٢ ، صـ ١٣٢- ١٣٦ .
(٣) الاستيعاب / جـ ٢ ، صـ ٣٥٤ .

وكان يتخذه وسيله إعلامية، وحربا نفسيه في بعض الأحيان وكان يتأثر بالشعر المعبر عن مشاعر إنسانية مهذبة وعواطف راقية سامية ويتخذه وسيله للجهاد وينفعل ببعضه أشد الانفعال ويقدره أعظم التقدير ويعتز به ويحتفي أيما احتفاء ويقرب الشعراء إليه ويرفع من منزلتهم ويرتضي ما ارتضاه القرآن الكريم ويقوم الشعراء . ويوجههم ، وله لمحات نقدية رائعة ويستمع إلي الرجال والنساء علي حد سواء ، وفي ذلك كله دلالة صادقة علي علو منزلة الشعر في عهده ﷺ .

ب- موقف الصحابة من الشعر :

لم يكن موقف الصحابة من الشعر إلا كموقف الرسول ﷺ منه، ولم يكن شأن الشعر في عهد الخلفاء أقل منه في عهد النبي عليه السلام، فلقد كانوا يشجعون الشعراء ويحثونهم علي قول الشعر ويستمعون إليهم ويتذوقون الشعر ويتأثرون به أيما تأثر ويشاركون في نظمه .

وللدلالة علي علو مكانة الشعر في عصر الخلفاء الراشدين يمكن أن نسوق **الأدلة الآتية:**

١- حكي جابر بن سمرة قال : جالست الرسول ﷺ أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الأشعار في المسجد .

٢- كتب عمر بن الخطاب إلي أبي موسى الأشعري يقول :" مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل علي معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب"

٣- روي أنس بن مالك قال : قدم علينا رسول الله ﷺ وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر [1]

٤- قال عمر بن الخطاب للوفد الذي قدم عليه من غطفان : من الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب؟

---

(١) العقد الفريد ، جـ ٦ ، صـ ١٣٤.

قالوا : نابغة بني ذبيان ، قال : فمن ذا الذي يقول هذا الشعر ؟

فألفيت الأمانة لم أخنها كذلك كان نوح لا يخون

قالوا: هو النابغة، قال: هذا أشعر شعرائكم[1] أى أشعر شعراء بني غطفان غطفان

٥- قال عمر بن الخطاب لابن عباس أنشدني لأشعر الناس الذي لا يعاظل بين القوافي (أى لا يعقد ولا يوالي بعضه فوق بعض ولا يتتبع حوشي الكلام، قال من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال زهير بن أبي سلمي[2] فلم يزل يزل ينشده من شعره الكثير وهو القائل :

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا [3]

٦- عقد عمر بن الخطاب ذات ليلة مجلسا لابن عباس طالبا منه أن ينشده لشاعر الشعراء فقال ابن عباس : ومن هو ؟ قال الذي يقول :

ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت: ذاك زهير، قال فذاك شاعر الشعراء ، قلت وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال لأنه كان لا يعاظل في الكلام وكان يتجنب وحشى الشعر ولم يمدح أحدا إلا بما فيه [4]

٧- قال عمر بن الخطاب : الشعر جزل من كلام العرب يسكن به الغيظ وتطفأ به الثائرة ويتبلغ به القوم في ناديهم ويعطي به السائل [5]

٨- لما هاجر النبي ﷺ إلي المدينة وهاجر أصحابه مسهم وباء المدينة فمرض أبو بكر وكان إذا أخذته الحمي يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدني من شراك نعله[1]

نعله[1]

---

(١) العقد الفريد ، جـ٦ ، صـ ١١٩ وانظر الشعر والشعراء ، جـ ١ ، صـ ١٥٨ – ١٥٩ ، وانظر ديوان النابغة صـ ١٢٦ تحقيق وشرح كرم البستاني / دار بيروت للطباعة سنة ١٩٨٠.

(٢) العقد الفريد ، جـ ٦ ، صـ ١١٩ .

(٣) العقد الفريد ، جـ ٦ ، صـ ١٢٠ .

(٤) الأغاني ، جـ ٩ ، صـ ١٤٠ .

(٥) العقد الفريد ،جـ ٦ ، صـ ١٣٠ .

٩- روي ابن سلام عن ابن جعدية قوله : ما أبرم عمر بن الخطاب أمرا إلا تمثل فيه ببيت من الشعر" [٢]

١٠- سئل مالك بن أنس عن أبيه من أين شاطر عمر بن الخطاب عماله ؟ فقال أموال كثيرة ظهرت عليهم وإن شاعرا كتب إليه يقول :

نحج إذا حجوا ونغرو إذا غزوا فأني لهم وفر ولسنا بذي وفر
إذا التاجر الهدي جاء بفارة من المسك راحت في مفارقهم تجري
فدونك مال الله حيث وجدته سيرضون إن شاطرتهم منك بالشطر

فشاطرهم عمر أموالهم[٣]

١١- كان سيدنا عمر قد حبس الحطيئة بسبب كثرة هجائه ، ولكنه لما سمع قوله :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لاماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

تأثر تأثرا شديدا وأفرج عنه بعد أن أخذ العهد عليه بالكف عن الهجاء وأعطاه ثلاثة آلاف درهم مشتريا بذلك منه أعراض المسلمين[٤]

١٢– روي عن سيدنا عمر قوله من خير صناعات العرب : الأبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته ، يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم [٥].

١٣- لم تقف مكانة الشعر لدى الصحابة والخلفاء الراشدين عند حد التمثل بالشعر والتأثر به بل كان منهم من هو شاعر ينظم البيت والبيتين، والمقطوعة والمقطوعتين والقصيدة والقصيدتين بل الديوان برمته مثل : حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، ومن الخلفاء الذين ذكر لهم شعر سيدنا أبو بكر الصديق ومن شعره قوله :

---

(١) العقد الفريد ، جـ ٦ ، صـ ١٣٠، وانظر ديوان أبي بكر ، صـ ٥٢ .
(٢) بهجة المجالس ، جـ١، صـ ٣٧.
(٣) العقد الفريد ، جـ ٦ ، صـ ١٣١
(٤) الأغاني ، جـ ٢ ، صـ ٥٤ .
(٥) البيان والتبين ، جـ ٢ ، صـ ١٠٢ .

أيا عين جودي ولا تسأمي وحق البكاء علي السيـــد
فصلي المليك إله العبـــاد ورب البلاد علي أحمـــد
فكيف الإقامة بعد الحـبيـ ـب بين المحافل والمشهد
فليت الممات لنا كلنـــا وكنا جميعا مع المهتـدي[1].
المهتـدي[1].

ومن شعر عمر قوله يوم فتح مكة :

ألم تـر أن الله أظهـــر دينـه علـي كـل ديـن قبـل ذلك حائد
وأمكنـه مـن أهل مكة بعدمـا تداعوا إلي أمـر مـن الغي فاسـد
فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عـداه مـن قتيل وشـارد

ومن شعر علي قوله :

أفاطم قد أبليت في نصر أحمد ومرضاة رب بالعباد رحيم
أريد ثواب الله لا شئ غيـره ورضوانه في جنة ونعيم[2]

ومن شعره أيضاً قوله :

نصرنا رسول الله لما تدابروا وثـاب إليه المسلمون ذوو الحجى
ضربنا غواة الناس عنه تكرما ولما يروا قصد السبيل ولا الهدي[3]

١٤- لم يكن الرجال من الصحابة فقط هم الشعراء بل شاركت المرأة المسلمة في ميدان الشعر ، ومن النساء الشواعر الخنساء ومنهن صفية بنت عبد المطلب، ومن شعرها في رثاء النبي قولها :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا بـرا ولـم تك جافيـا
وكنت رحيما هاديا ومعلمـا ليبـك عليك اليوم من كان باكيا[4]

ومنهن عاتكة بنت عبد المطلب ومن شعرها يوم بدر قولها :

فهـلا صبـرتم للنبـي محمد ببدر من يغش الوغى حق صابـر
ولم ترجعوا عن مرهفات كأنها حريـق بأيـدي المؤمنين بواتـر
ولم تصبروا للبيض حتى أخذتم قليـلا بأيـدي المـؤمنين مساعر

---

(١) ديوان أبي بكر ، صـ ٣٢ .
(٢) ديوان الإمام علي / جمع وترتيب : عبد العزيز الكرم صـ١١٥ / ط دار العلم / بيروت .
(٣) ديوان الأمام علي /صـ١٠.
(٤) شعر صفية بنت عبد المطلب / د. محمد أبو المجد علي / صـ١٥١ / ط الآداب سنة٢٠٠٢.

١٥- الخنساء كانت شاعرة ولها ديوان من الشعر.

١٦- صفية بنت عبد المطلب لها من الشعر ما ألف ديوانا بأكمله.

١٧- للسيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ شعر ومن ذلك قولها في رثاء النبيﷺ:

قل للمغيب تحت أطباق الثرى إن كنت تسمع صرختي وندائيا

صُبت علي مصائب لوانها صبت علي الأيام عدن لياليا[١]

ويلاحظ أن عدد الشواعر فى صدر الإسلام قد بلغ خمسة و ستين شاعرة[٢].

وبعد : فإن الشعر في صدر الإسلام لم يكن قليلا ولا ضعيفا ولم تتراجع مكانته ولم تهتز بل ارتفعت وسمت واتجه به الإسلام الاتجاه الصحيح ووجهه الوجهه السليمة وكل الأدلة التي سقناها تبرهن على علو تلك المكانة ، ولبيان وفرة الشعر في تلك الفترة يمكن أن نشير إلى شيئين مهمين في نهاية الموضوع هما.

أولاً : أن هذه الفترة قصيرة إذا قيست بالفترة السابقة نعني العصر الجاهلي – فهي فترة لا تتجاوز الخمسين سنة بينما يمتد العصر الجاهلي إلى نحو قرنين من الزمان، ومعنى ذلك أن فترة صدر الإسلام لا تزيد – من الناحية الزمانية- على ربع العصر الجاهلي ومعنى ذلك أننا بعملية حسابية نجد أن كل أربعة شعراء جاهليين يقابلهم شاعر إسلامي واحد ورغم ذلك فإننا نجد النسبة تزيد عن ذلك بكثير.

ثانياً : رغم قصر هذه الفترة وانشغال المسلمين بالحروب والفتوحات والدعوة ورغم ما هو معروف عن شعر الفتوحات من كثرة الضياع فلقد وصل إلينا من هذه الفترة أكثر من عشرين ديوانا ما بين مطبوع ومخطوط ومن هذه الدواوين عن سبيل المثال: ديوان أبي بكر، وديوان علي بن أبي طالب، وديوان حسان، وديوان كعب بن مالك، وديوان عبد الله بن رواحة، وديوان النابغة الجعدي ، وديوان خفاف بن ندبة، وديوان العباس

(١) انظر شاعرات عصر الإسلام الأول / نبيل خالد أبو علي / ط دار الحرم الشريف ،سنة٢٠٠١.

(٢) المرجع السابق .

بن مرداس، وديوان ضرار بن الخطاب، وديوان كعب بن زهير، وشعر صفية بنت عبد المطلب، وديوان الشماخ بن ضرار، والمزرد بن ضرار، والحطية، وأبي محجن الثقفي[1]، ديوان حميد بن ثور، ديوان لبيد، ديوان تميم بن مقبل، ديوان سحيم بن وثيل، ديوان عمرو بن معدي كرب هذا عدا المقطوعات المتناثرة في كتب الأدب والتاريخ والتي تبلغ أكثر من ست عشرة وأربعمائة مقطوعة. ومن ثم فإننا في نهاية الحديث عن هذا الأمر يجب أن نعلن أن المقولة التي ادعاها المدعون بأن الشعر قد قلت مكانته وضعفت منزلته في صدر الإسلام مقولة باطلة مردها إلي فهم سيئ لموقف الإسلام من الشعر وإلي عدم تبصر قائليها بموقف الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم من ذلك الفن الجميل، كما أنهم لم ينتبهوا إلي أن الشعر الإسلامي في معظمه أليف اللفظ قريب المعنى سهل العبارة رشيق الأسلوب ليس فيه من فخامة التركيب والديباجة البدوية وغرابة اللغة مما حدا بأصحاب اللغة ومتتبعي الشواهد إلي نبذه وعدم الاهتمام به لأنهم كانوا يبحثون عن الشعر العويص المعني الغريب اللفظ المملوء بداوة وجزالة وفخامة فلما وجد أصحاب هذه المقولة عدم اهتمام أصحاب اللغة بذلك الشعر زعموا ذلك الزعم. والحق أن في كل ما أوردناه رد مفحم علي مقولتهم وتفنيد واضح لمزاعمهم وعودة صحيحة إلي فهم الشعر في صدر الإسلام ومعرفة مكانته العالية خاصة عند النبي ﷺ وصحبه الكرام.

المديح النبوي زمن رسول الله ﷺ

من المعلوم لدي دارس الأدب العربي أن الشعر ديوان العرب، وأن فن المديح من أكبر فنون هذا الديوان ، إن لم يكن أكبرها علي الإطلاق. والمديح هو فن الثناء والإطراء وإبراز مواهب الممدوح والتغني بصفاته ،

(١) انظر موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي: عبد عون الروضان التي أحصي فيها ما يقل عن (١٤٠٩) تسعة وأربعمائة وألف شاعر في هذين العصرين والموسوعة ط١، دار أسامة، عمان سنة ٢٠٠١

ونعته بنعوت قد لا تكون من جملة شمائله؛ ولذا كان هذا الفن بابا للتكسب لدي الشعراء ومدخلا للنفاق والرياء .[1]

ولكن الأمر في فن المديح النبوي يختلف كثيرا فقائله يلمس فيه الصدق والإخلاص ، ينظم بلا هوي وينشد بلا غرض، هدفه الانتصار للدين الحنيف ومبادئه الكريمة ، والتقرب إلي الله ورسوله.

والحق أننا لم نجد شخصية قد احتفل بها الشعراء كشخصية نبينا الكريم محمد ﷺ، فلقد رافقه الشعر منذ ميلاده حتى وفاته راصدا صفاته، راسما شخصيته، مبرزا أخلاقه وأعماله ومعجزاته ، مبينا فضله علي العالمين. وإذا حاولنا أن نرصد أبرز العلامات الواضحة في مديحه ﷺ في حياته فإننا سنجد أن أول ما تطالعنا به المصادر في هذا الصدد أبيات أوردها صاحب السيرة النبوية " تنسب إلي عبد المطلب جد الرسول ﷺ قالها إثر مولد النبي عليه السلام مباشرة مطلعها :

الحمـــد لله الذي أعطـــاني هذا الغلام الطيـب الأردان
قد ساد في المهد علي الغلمان أعيذه بالبيـت ذي الأركان [2]
(٢)

ولما فصلت العير بمحمد الرضيع إلي ديار بني سعد قالت السيدة آمنه أم النبي ﷺ أبياتا تعيذه فيها من الشرور، وتدعو الله أن تراه فتي يافعا ورجلا حامل الحلال داعيا إليه ، تقول فيها .

أعـيـذه بالله ذي الجـلال من شر مامرَّ علـي الجبال
حتى أراه حامـل الحـلال ويفعل العرف إلي المـوالي[3]

---

(١) انظر هذا الموضوع في مجلة الأزهر، جـ٣،السنة الستون/ عدد ربيع أول سنة ١٤٠٨هـ- نوفمبر سنة ١٩٨٧ بعنوان " المديح النبوي زمن رسول الله عليه وسلم /د. غريب محمد علي.

(٢) السيرة النبوية / ابن اسحاق / ج١ صـ ١١٤ ، وفي رواية أخري تروى كلمة " السعد بدلا من الحمد " وكلمة "بالله" في البيت الثاني بدلا من كلمة بالبيت "، وانظر – سيرة ابن هشام القسم الأول صـ١٦٠، وانظر – الطبقات الكبري – ابن سعد – مجلد ١ ص ١٠٣ / ط بيروت سنة ١٩٥٧.

(٣) الطبقات الكبري / جـ١،صـ١١١.

ولما بلغ ﷺ من العمر خمس سنين قدمت به السيدة حليمة إلي أمه لترده إليها فأضلها في الناس فالتمسته فلم تجده، فأتت عبد المطلب فالتمسه فلم يجده ، فقام عند الكعبة قائلاً :

لاهم أد راكبي محمدا أده إلي واصنع عندي يدا
أنت الذي جعلته لي عضدا لا يبعد الدهر به فيسعدا
أنت الذي سميته محمدا[1]

ولا تسعفنا المصادر التي بين أيدينا بشئ من الشعر قيل في الرسول ﷺ منذ عودته من ديار بني سعد إلي بعثته إلا بأبيات لأبي طالب يذكر فيها ما وصاه به بحيرا الراهب وإشارته إلي أنه النبي المنتظر وما أعلمه من محاولة اليهود قتل النبي ﷺ، يقول أبو طالب :

إن ابن أمنة النبي محمدا عندي بمثل منازل الأولاد
راعيت فيه قرابة موصولة وحفظت فيه وصية الأجداد
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا لا قوا علي شرك من المرصاد
قوما يهودا قد رأوا ما قد رأي ظل الغمام وعز ذي الأكباد
ساروا لقتل محمد فنهاهم عنه وأجهد ، أحسن الإجهاد[2]

وقبيل البعثة بقليل تروي أبيات لورقة بن نوفل نشعر معها بما كانت تحدثه به السيدة خديجة رضي الله عنها من أمر الرسول ﷺ يقول فيها :

لججت وكنت في الذكري لجوجا لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف فقد طال انتظاري يا خديجا
بما خبرتنا من قول قس من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمدا سيسود فينا ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا[3]

---

(١) الطبقات الكبري /جـ١، صـ١١٣.
(٢) السيرة النبوية/ ابن اسحاق / جـ١ ، صـ ١٤٨ .
(٣) سيرة ابن هشام/ قسم١ص١٩١وهناك أبيات أخري يرويها ابن اسحق في سيرته ج١،ص ١٩٣.

وبعد بعثته ﷺ انقسم الناس إلي مؤيدين ومعارضين وحمل كل فريق سلاحا ينافح به في وجه الآخر . وكان الشعر أحد هذه الأسلحة بل أمضاها أثرا في النفوس، ولذلك نجد شعرا كثيرا لأبي طالب عم النبي ﷺ يدافع به عن النبي وينافح ، ومن ذلك ما قاله مفتخرا بقومه عبد مناف الذين شدوا أزر الرسول في الحصار الذي ضربته قريش حولهم :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها
وإن فخرت يوما فإن محمدا ... هو المصطفي من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها[1]
حلومها[1]

ومن الملاحظ أن هذه الأبيات يغلب عليها طابع الفخر أكثر من المديح النبوي ، وهناك قصيدة طويلة تروي أيضا لأبي طالب يظهر فيها مدحه للرسول ﷺ، وهي التي يقول فيها.

أشم من الشم البهاليل ينتمي ... إلي حسب في حومة المجد فاضل
فلازال في الدنيا جمالا لأهلها ... وزينا لمن والاه رب المشاكل
فمن مثله في الناس أى مؤمل ... إذا قاسة الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي إلها ليس عنه بغافل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعني بقول الأباطل[2]

وثمة أبيات لسيدنا حمزة بن عبد المطلب يحمد الله فيها علي إسلامه وينوه فيها بالرسول ﷺ إذ يقول:

حمدت الله حين هدي فؤادي ... إلي الإسلام والدين الحنيف
وأحمد مصطفي فينا مطاع ... فلا تغشوه بالقول العنيف

---

(١) ديوان شعر أبي طالب/ورقة ٨/محطوط بدار الكتب المصرية برقم٣٨،انظر سيرة ابن اسحق/ ج١ ص٢٢٠ ص٢٢٠

(٢) ديوان شعر أبي طالب / ورقة ٣ ، وانظر سيرة ابن هشام / قسم ١ صـ٢٨٠. وهي قصيدة تبلغ أكثر من من تسعين بيتا ، ويقول عنها ابن سلام أبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها النبي صلي الله عليه وسلم .
وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ... ربيع اليتامي عصمة للأرامل
انظر طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي / جـ١ ، صـ٢٤٤ / تحقيق محمود محمد شاكر / ط المدني بجدة سنة ١٩٨٠ .

إذا تـليـت رسـائـله علينـا تحـدر دمـع ذي اللب الحصـيف[1]
الحصـيف[1]

وفي هذه المرحلة نجد قصيدة الأعشي التي يقول فيها :

ألم تغتمض عيناك ليـلة أرمـدا وعـادك ما عـاد الـسليـم المسهدا
أجـدك لم تسمـع وصاة محمـد نبـي الإله حـين أوصي وأشهـدا
نبـي يري مالا تـرون وذكـره أغار لعمـري في البـلاد وأنجـدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقـي ولا قيـت بعد الموت من قـد تزودا
ندمت علي أن لا تـكون كمثـله وإن لم تـرصد لما كان أرصـدا [2]

وهي قصيدة يشك فيها بعض الباحثين ويري أنها منحولة عليه، ولسنا هنا بصدد مناقشة قضية الانتحال فسواء كانت هذه القصيدة للأعشى أم لغيره فإننا لا نستطيع أن نخرجها من دائرة المديح النبوي .

وفي هذه المرحلة – مرحلة الدعوة في مكة – نجد بعض القصائد والمقطعات لبعض الصحابة المهاجرين إلي الحبشة مثل عبد الله بن الحارث الذي يقول عندما وصل إلي الحبشة وأمن علي نفسه:

كل امرئ من عباد الله مضطهـد ببطـن مكـة مقهـور ومفتـون
إنا وجـدنا بـلاد الله واسعـة تنجي من الـذل والمخزاة والهـون
إنا تبعـا رسول الله واطرحـوا قـول النبي وعالوا في الموازين [3]

وفي هذه المرحلة نجد أيضاً قصيدة النابغة الجعدي التي تعد من أقدم ما وصل إلينا من قصائد المديح النبوي والتي يقول فيها.

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدي ويتلو كتابا كالمجـرة نيـرا
أقيم علي التقوي وأرضي بفعلها وكنت من النارالمخوفة أحذرا[4]

وفي تلك المرحلة لا نكاد نسمع عن أحد من الصحابة في مكة قال شعرا مدح فيه النبي ﷺ إلا نادرا ، ولعل ذلك راجع إلي سرية الدعوة من

---

(١) سيرة ابن اسحاق / جـ ١ / صـ٢٤١.
(٢) ديوان الأعشي / شرح وتعليق د. محمد حسين/ صـ١٣٧ / ط النموذجية سنة ١٩٥٠.
(٣) سيرة ابن اسحق / جـ١، صـ٢٩٣.
(٤) الأغاني / جـ٥/ صـ٩ .

جانب والحفاظ علي الدين والنفس من جانب آخر، وإلي تحرج الصحابة رضوان الله عليهم من قول الشعر من جانب ثالث، ومن الأشعار القليلة التي وصلت إلينا من هؤلاء الصحابة قول عثمان بن مظعون :

رسول عظيم الشأن يتلو كتابه له كل من يبغي التلاوة وامق
فيارب إني مؤمن لمحمد وجبريل إذ جبريل بالوحي طارق (١)

أما إذا انتقلت إلي يثرب – دار الهجرة – فإننا نجد الموقف يتغير تماما فالشعر قد كثر واختلفت طبيعته، واشتهر أكثر من شاعر في مديح الرسول ﷺ وفي الدفاع عن الدين، فلقد قويت شوكة المسلمين، وما عاد هناك شئ يخيفهم . وكان لابد أن يواجه الشعراء المسلمون شعراء الشرك كما واجهت الجنود كفار قريش في المعارك والحروب، ولم تعد هناك سرية للدعوة، كما أن موقف الإسلام من الشعر قد ظهر ظهورا جليا.

وكان علي رأس هؤلاء الشعراء حسان بن ثابت الذي عرف بشاعر الرسول . ومن أشهر مدائحه النبوية قصيدته التي يقول فيها :

عفت ذات الأصابع فالجواء إلي عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء
وقال الله قد أرسلت عبدا يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه فقلتم لا نقوم ولا نشاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لاعيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء(٢)

ومن قصائد المعروفة الذائعة الصيت في هذا المجال قصيدته التي يقول فيها

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضي بها كل من كانت سريرته تقوي الإله وبالأمر الذي شرعوا
أكرم بقوم رسول الله قائدهم إذا تفرقت الأهواء والشيع (٣)

---

(١) سيرة ابن إسحاق ، جـ١ ، صـ٢٤٩.
(٢) ديوان حسان / صـ٧١ – ٧٦ .
(٣) ديوان حسان ،صـ٢٣٨، ٢٣٩.

ومن الطبعي أن يتحدث الشعراء المسلمون عن شخصية الرسول ﷺ فهو أساس الدين وحامل رسالة السماء إلي الأرض والصابر علي البلوي ومبدد يجور الشرك، يقول كعب بن مالك الذي يعلن وجوب طاعة النبيﷺ :

فينا الرسول شهـاب ثـم نتبعه نور مضئ له فضـل علي الشهب
الحق منطقه والعـدل سيرتـه فمن يجبـه إليه ينـج مـن تبب[1]
تبب[1]

وقد ركز الشعراء في هذه المرحلة علي شجاعة النبي ﷺ وقوة شكيمته ونضاله في سبيل الحق ، يقول كعب بن مالك في غزوة الطائف :

رئيسهـم النبـي وكان صلـبـا نقـي القلب مصطبـرا عزوفـا
رشيـد الأمـر، ذ وحكم وعلـم وحلـم لـم يكن نـزفا خفيفـا[2]

ومن أهم ما وصف به الشعراء النبي ﷺ الرحمة والعطف والشفقة والعدل والزهد والورع والتقوى ومعظمها صفات دينية ، بالإضافة إلي ما استمدوه من بيئتهم كالشجاعة والشهامة والنخوة والكرم وقد مزجوا ذلك كله في قصائدهم التي مدحوا بها النبي ﷺ . ومما يلفت النظر في هذه المرحلة أبيات منسوبة إلي العباس بن عبد المطلب ، وقصيدة " بانت سعاد " . أما أبيات العباس فإنها تضيف عنصرا جديدا إلي فن المديح النبوي وهو عنصر " النور المحمدي أو ما يسمي بالحقيقة المحمدية ، يقول العباس مخاطبا النبي ﷺ :

من قبلها طبت في الظلال وفـي مستـودع حيـث يخـصف الـورق
ثـم هبطـت البلاد لابشـر أنـت ولا مضغـة ولا عـلـق
تنقل من صالـب إلـي رحـم إذا مضـي عالـم بـدا طبـق
وردت نـار الخليـل مكتتمـا في صلبـه أنـت كيـف يحتـرق[3]

---

(١) ديوان كعب بن مالك / صـ ٢٥ . وانظر سيرة ابن هشام / ق ٢ ، صـ١٦١ .
(٢) ديوان كعب بن مالك / صـ٦٨ .
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب / ابن عبد البر ، جـ ١ ، صـ١٦٥ / ١٦٦ ، طـ حيدر أباد – الدكن – الهند سنة ١٣١٨ هـ .

فالعباس يريد أن يقول للرسول ﷺ لقد كنت من قبل هيئتك الجسدية نورا لطيفا تنقل من الأصلاب الطاهرة إلي الأرحام الزكية فلقد كنت مع آدم في الجنة ومع نوح في سفينته ومع إبراهيم في ناره ، وقد أخذ هذا النور يتنقل حتى ظهر في صورة جسدية هي صورة النبي ﷺ.

وأما قصيدة كعب بن زهير التي يقول فيها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
وقال كل خليل كنت آمله لا ألهينك إني عنك مشغول
أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول[1]

فهي قصيدة جليلة الخطر، عظيمة الشأن في تاريخ المدائح النبوية وذلك لما اكتنفها من القصة التي حكيت حولها وهي أن كعبا أنشدها بين يدي الرسول ﷺ معتذرا عما بدر منه طالبا العفو من رسول الله ﷺ فعفا عنه النبي وألقي عليه بردته [2]

ويتمثل خطرها في أن بعض الشعراء قد ادعوا أنهم أنشدوا قصائدهم – مناما – بين يدي رسول الله ﷺ، وأن بعضهم كان يستعصي عليه بيت فيتمه له الرسول أو يغير كما غير لكعب قوله " مهند من سيوف الهند " إلي " مهند من سيوف الله " .

ويتمثل خطرها أيضا في فن المعارضات والتشطير، وأنها أصبحت بمثابة قاعدة يحتذي بها كثير من الشعراء عند مديحهم النبي حيث يبدأ المادح النبوي بالنسيب وينتقل إلي الحديث عن الديار الحجازية ثم وصف الرسول وإبداء الأسف علي التقصير في حقه ﷺ ثم يتوسل به إلي رب العزة سبحانه وتعالي، ويرجو أن يكون شافعا له يوم القيامة ، ثم إنها ترجمت إلي عدة لغات .

وفي نهاية الحديث عن فن المديح النبوي زمن رسول الله ﷺ يمكن القول بأن هناك مديحا تقليديا سار علي الطريقة الجاهلية مع تطعيمه

---

(١) شرح ديوان كعب بن زهير، ص٦، ٢٣، صنعه أبي سعيد السكري، ط٣، دار الكتب المصرية سنة٢٠٠٢م سنة٢٠٠٢م

(٢) انظر سيرة ابن هشام / قسم ٢ صـــ٥٠٣ .

بالمبادئ الإسلامية، وآخر مباشرا يمدح فيه صاحبه النبي بلا سابق مقدمات، وثالثا تسيطر عليه نغمة الفخر والحماسة ورابعا يختلط بهجاء الأعداء، وخامسا ظهرت فيه فكرة الحقيقة المحمدية .